

التفسير المطول - سورة آل عمران 003 - الدرس (27-60): تفسير الآيات 98 - 101

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-06-2001

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخِلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس السابع والعشرين من سورة آل عمران ، ومع الآية الثامنة ، والتسعين من قوله تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ(98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ

1 - وقفة متأنية عند كلمة (قل) :

تستوقفنا أيها الإخوة كلمة (قل) .

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

(سورة آل عمران : الآية 98)

ما الفرق بينها وبين قوله تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

(سورة آل عمران : الآية 65)

إن الله جل جلاله كما قال بعض العلماء يتلطف بعباده ، ويخاطبهم مباشرة أحياناً ، أما حينما يتلبسون بمعصية فليسوا أهلاً أن يخاطبهم ، لذلك تفرغاً لهم يقول الله عز وجل :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

ولله المثل الأعلى : حينما يأتي مدير عام ليتفقد أحوال إحدى الدوائر المسؤول عنها ، ولا يجد الموظف في مكانه ، ولا دوامه منتظم ، لا يخاطبه مباشرة تقريباً له ، وهو إلى جانبه واقف ، يقول : قل له : ألا يتأخر ، وهو لم لا يقول له : لا تتأخر ؟ عمله لم يجعله أهلاً أن يخاطب مباشرة ، فحينما يقول الله عز وجل :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

(سورة النور الآية 30)

وكان المؤمن قبل أن تأتي هذه الآية واقع في حيرة ، ولعله يطلق بصره ، فجاءت هذه الآية :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

(سورة النور الآية 30)

بالمناسبة الله جل جلاله لم يخاطب الكفار إطلاقاً في قرآنه الكريم ، لأن الإنسان حينما لا يقبل الحق ، وحينما يرد الحق ، وحينما يركب شهواته ، وتتحكم فيه نزواته ، مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يخاطبه الله عز وجل ، إلا آية واحدة يوم القيامة قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَّا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

(سورة التحريم : الآية 7)

لكن الله جل جلاله فيما يزيد على ثلاثمائة آية خاطب المؤمنين :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

(سورة التحريم الآية 6)

حينما تُخاطبون من الله مباشرة فهذا شرف عظيم ، وهذا رقي كبير ، قال تعالى :

(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون)

(سورة العنكبوت الآية 56)

حينما تقرأ قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

(سورة آل عمران الآية 100)

ينبغي أن نشعر أنه لكرامتك عند الله وجّه الله لك الخطاب مباشرة ، هناك آيات مثل :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا)

(سورة النور الآية 30)

أو قل لفلان ، أما هنا فقال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

لأن أهل الكتاب معهم كتاب ، وفي الكتاب إشارة واضحة إلى مجيء النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان أهل الكتاب فيما مضى يستفتحون بهذه البشارة على الذين آمنوا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا ،

هذا النبي الذي في كتابهم جاء حقيقة فكفروا به كبيراً ، وحسداً ، وعدواناً ، لأنهم بمراكز معينة ، فذلك أيها الإخوة ، المنتفع من الباطل هذا قلما يهتدي ، أما المنتفع بالباطل فكثيراً ما يهتدي ، فالإنسان المنتفع بالباطل جاءه دليل لم يكن في علمه فخضع للحق ، هذا قضيته سهلة جداً ، أما المنتفع بالباطل فهو لا يدافع عن فكرة يعتنقها ، بل يدافع عن مصلحة ينعم بها ، من هنا لا تفكر أن تخاطب ، أو تحاور غيباً ، ولا قوياً ، ولا منتفعاً ، ليس هناك من جدوى أن تحاور منتفعاً بكفره ، أو منتفعاً بنفاقه ، الله عز وجل يقول :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

2 - الله يأمر نبيه أن يبلغهم هذه المقولة :

أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يبلغهم هذه المقولة .

النبي مبلّغ عن ربه :

بالمناسبة يتضح من كلمة (قل) ؛ أنّ النبي مبلّغ يُبلّغ عن الله ، وقال تعالى :
(مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

(سورة الأحقاف الآية 9)

ليس من شأن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحرك إلا بما يمليه عليه الوحي بدقة تامة ، لأنه أمين وحي السماء ، وأمانة الوحي تقتضي بأن يُبلّغ ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

(سورة المائدة الآية 67)

وقال :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية 99)

3 - الانحراف طريق للصد عن سبيل الله :

سبحان الله ! حينما ينحرف الإنسان دون أن يشعر بعقله الباطن بدوافع خفية ليست واضحة عنده يصد الناس عن سبيل الله ، لأن المنحرف يحب أن يكون الناس جميعاً منحرفين مثله .

مثلاً : الإنسان غير منضبط ، وغير ملتزم ، ولا يستقي علماً شرعياً من أي جهة ، لو أن قريباً له التزم بمسجد ، وتحسّن سلوكه ، واصطلح مع ربه ينهاه دون أن يشعر ، يحذره ، يذكر له أخطاراً موهومة ، ليست موجودة ، كأن يقول له : انتبه لمستقبلك ، أي يخيفه ، حسناً أنت ما الذي يضيرك لو أنه اهتدى إلى الله ؟ يحب أن يكون الناس جميعاً مثله ، ما دام قد تفلّت من منهج الله ، وما دام قد آثر طريق الشهوة على طريق الحق ، إذاً دون أن يشعر ببواعث خفية بعقله الباطن يصرف الناس عن الحق ، وهذا شأن أهل الكتاب ، قال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية 98)

4 - أهل الكتاب كفروا بمجيء النبي عليه الصلاة والسلام :

الآيات التي في كتابكم ، والتي تُنبئُ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم ، وكنتم تستفتحون على الذين آمنوا ، هذه الآيات التي في كتابكم لم تكفروا بها ؟ لم لا تأخذونها ؟
(وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ

1 - الله لا يخفى عليه تخطيط الكافر :

من أجل أن تتذوق معنى هذه الآية تصور إنساناً يخطط ضد نظام معين ، وهو يتحرك هناك أجهزة تعلم كل حركاته ، وسكناته ، ولقاءاته ، وزياراته كلها مُسجّلة عليه ، في الوقت الدقيق ، بل إن كلامه كله مسجل ، فهذا يظن أنه قد أفلح ، لكن الله كما يقول :

(وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)

كل حركات الكافر ، وتخطيطاته ، وسكناته ، ومؤامراته على أهل الحق في علم الله عز وجل :

(وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران الآية 98)

لكن في الوقت المناسب يظهر أنه كان غيباً ، ولم يكن ذكياً ، وأنا لم أرَ في حياتي أغبى من إنسان وقف ضد الحق ، لأن الله هو الحق ، من أنت حتى تقف في وجه الحق ؟ من أنت حتى تكون في خندق معاد لخندق المسلمين ؟ من أنت حتى تتمنى أن تطفئ نور الله ؟

2 - من الشقاء والغباء والحمق الوقوف في وجه الحق :

والله أيها الإخوة ، وإن كان هذا المثل يدعو للعجب ؛ لو رأينا إنساناً هنا في الشام يتجه نحو أشعة الشمس الساطعة ، وينفخ فيها كي يطفئها ، بماذا تحكم على عقله ؟ أشعة الشمس لا يمكن أن يطفئها إنسان بنفخة من فمه ، فكيف بنور الله ؟ قال تعالى :

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)

(سورة الصف الآية 8)

لذلك ليس هناك أشقى وليس هناك أشد حمقاً من الذي يريد أن يطفئ نور الله ، أو أن يقف في وجه الحق ، وهناك كلمات أقولها دائماً : الكلاب تعوي ، والقافلة تسير ، وما ضرَّ السحاب نبح الكلاب ، ولو تحول الناس إلى كناسين لثيئروا الغبار على الإسلام ما أثاروه إلا على أنفسهم ، ويبقى الإسلام هو الإسلام ، وما ضر البحر أن ألقى فيه غلام بحجر ، فهؤلاء الذين عارضوا النبي الكريم ، وانت مروا على أصحابه ، وضيّقوا عليه ، وأخذوه من دياره ، ونكلوا بأتباعه ، كيف كان مصيرهم في حياة النبي؟ كانوا قتلى في ساحة المعركة ، حينها خاطبهم النبي واحداً واحداً ، وقال :

((يَا فَلانُ ، يَا فلانُ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا ؟ قَالَ عُمَرُ : يَا

رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جِئُوا ؟ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ

يُجِيبُوا))

[مسلم ، النسائي ، أحمد]

فليس هناك إنسان على وجه الأرض يُعدُّ أكثر غباءً ، ولا أكثر حمقاً ، ولا أكثر شقاءً من الذي يريد أن يطفئ نور الله ، طبعاً هذا يظهر بشكل حاد عند بعض الناس الأقوياء ، ولكن يظهر بشكل مخفف عند معظم الناس ، فبمجرد أن أحد أقربائه ، أو ابنه ، أو قريبه ، أو ابن أخيه التزم ، وطبق منهج الله عز وجل ، وحافظ على صلواته ، وغض بصره ، وأبى الاختلاط ، وأبى كل حفل مشترك يقام عليه النكير ، هؤلاء الذين يقيمون على شاب مستقيم النكير ، هم يصدون عن سبيل الله ، بشكل مخفف ، هم لا ينكرون الحق ، لكن ينكرون الالتزام به ، يقولون : من يستطيع أن يستقيم هذه الأيام ؟ هذا الدين ليس لهذه الأيام ، هذا الدين لزم من سابق ، هكذا يوهم نفسه ، إذاً الله جل جلاله يقول:

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران : الآية 98)

معكم آيات في كتابكم ، فكفروا بها ، قال تعالى :

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)

(سورة النمل : الآية 14)

هناك حقيقة دقيقة ، وهي أن الإنسان حينما ينقطع عن الله يصبح أعمى لا يرى ، قال تعالى :

(فَإِنَّهَا لَّا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

(سورة الحج : الآية 46)

في ساعة الغفلة ، وساعة الانغماس في اللذة يغييب الإنسان عن الحقائق ، ويحاول أن يطفئ نور الله بشكل أو بآخر ، أو يصد عن سبيل الله ، أي يشكك بأية جهة دينية ، لا أحد جيد ، لأنه جال كل الدعوات في العالم ، واكتشف أنها كلها دعوات كاذبة غير صادقة ، إذا : أنت لا تلتزم ، دع غيرك يلتزم ، لكن لا يسمح بذلك .

أنا لا أنكر هذا الكلام إلا من معاناة ، فتجد بعض المسلمين ألفوا المعصية ، ألفوا الاختلاط ، ألفوا التبذير ، ألفوا أجهزة اللهو ، ألفوا كل شيء يبعدهم عن الحق ، وهم يصلون مع ذلك ، فإذا التزم واحد منهم من أقربائهم يُقام عليه النكير ، وهذا العمل صدّ عن سبيل الله ، قال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوتُهَا عَوجًا)

(سورة آل عمران الآية 99)

مَنْ آمَنَ تَبْغُوتُهَا عَوجًا

1 - معنى العوج :

الشيء المادي إذا كان معوجاً نقول : فيه عوج ، العوج بالفتح ، الاعوجاج في شيء ، في غصن ، في قطعة خشب ، في قطعة الحديد ، الاعوجاج في جسم مادي يقال له : عوج ، بفتح العين ، أما في الأمور المعنوية ، والأمور الاعتقادية ، والأمور القيمية ، الانحراف يسمى عوجاً ، قال تعالى :

(تَبْغُوتُهَا عَوجًا)

2 - هذا الفهم نوع من العوج :

وهو دين واضح ، لكن هو يريد أن يقول : إن أمة محمد مرحومة ، لن تُعَدَّب ، ويفهم بعض الأحاديث فهماً ساذجاً ، أن شفاعتي بأهل الكبائر من أمتي ، إذاً : عليك بالكبيرة كي تنالك شفاعته النبي عليه الصلاة والسلام ، هو يريد أن يغير منهج الله ، يريد أن لا يعبأ بالآيات التي تؤكد عدل الله التام ، لا يعجبه أن يقول النبي الكريم :

((يَا مَعْشَرَ فَرِيشٍ ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَأُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، لَأُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَأُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))

[البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

((وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

يعجبه حديث آخر ، مثلاً حديث غير صحيح : أن الإنسان إذا وافته المنية يوم الجمعة فهو إلى الجنة ، ولو كان إنساناً كافراً ! وهذه أحاديث موضوعية ، تعجبه مثل هذه الأحاديث :

((مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ))

[مسلم ، أحمد ، الترمذي]

لا تُكَلِّفُهُ إِلَّا خَمْسَ كَلِمَاتٍ ، هذا الحديث يُعَجِّبُ بِهِ ، لكن له رواية أخرى لا يتحمس لها :

((مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَقِّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قِيلَ : وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَحْجِزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ))

[الطبراني في المعجم الأوسط عن زيد بن أرقم]

يريد الشيء الخفيف ، حتى إنَّ الناس حينما يتَّبِعُونَ دِيَانَاتٍ وَضَعِيَّةً مِنْ صَنْعِ الْبَشَرِ تَجِدُ خَمْسَمِائَةَ مَلِيُونٍ يَتَّبِعُونَ دِيَانَةَ فِي شَرْقِ آسِيَا ، مَا هَذَا الْإِقْبَالُ عَلَى هَذِهِ الدِّيَانَةِ ؟ لِأَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ فِيهَا ، فِيهَا وِلَاءٌ فَقَطْ ، بَيْنَمَا مِنْهُجَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ فِيهِ تَكْلِيفٌ ، بِأَمْرِ تَكْلِيفِي .

القرآن والسنة تولى الله حفظهما :

بالمناسبة أتباع الأديان السابقين كلَّفهم الله أن يحفظوا كتابه ، والأمر التكليفي يُعصى ، فما حَفِظُوهُ ، بل أضافوا ، وبدلوا ، وغيروا ، وحذفوا ، لكنَّ القرآن الكريم حَفِظَهُ اللهُ بِأَمْرِ تَكْوِينِيٍّ لَا بِأَمْرِ تَكْلِيفِيٍّ ، أي تولى الله بذاته العلية حفظ كتابه ، فالقرآن الكريم كما نزل في عهد النبي ، وكما كُتِبَ فِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ ، وليس في الأديان كلها كتاب يمضي على نزوله أربعة عشر قرناً دون أن يتغير فيه حرف

واحد ، وهذه من نعم الله العظمى ، أن قرأنا ، وهو المصدر الأول لهذا الدين محفوظ بحفظ الله مباشرة، لذلك مئات الألوف ، بل عشرات مئات الألوف يحفظون كتاب الله كله عن ظهر قلب ، فالقرآن الكريم محفوظ في الصدور ، ومثلاً في العالم الإسلامي ، و محفوظ في المصاحف ، أي يُتلى ويُحفظ ، ويُكتب كما نزل ، لأن هذا الحفظ تمّ بأمر تكويني ، قال تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(سورة الحجر : الآية 9)

والعلماء يقولون : إن حفظ القرآن الكريم من لوازمه حفظ سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنها مُبَيَّنَّة، فلا معنى أن تحفظ البيان دون التبيين ، وقد أكد الله هذا المعنى بقوله :

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)

(سورة النحل : من الآية 44)

إذاً : سنة النبي مُبَيَّنَّة ، فلا معنى أن تحفظ الأصل ، ولا يُحفظ التبيين فمن لوازم حفظ الله لكتابه أن سنته سنة النبي محفوظة بحفظ الله ، لذلك هيأ لها رجالاً أعلاماً جهدوا ، وبدلوا جهداً لا يوصف في حفظ السنة ، واستنباط الصحيح من الضعيف والموضوع ، قال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ(98)قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوْجًا)

(سورة آل عمران)

المشكلة أن إنساناً ربما لا يؤمن ، ولكن يصدُّ كل مؤمن عن أن يؤمن ، أنت لم تؤمن لم تصدُّ المؤمنين؟ أنت لم تلتزم ، لم تنهى الملتزمين ؟ أنت لم تلتحق بمسجد ، فلم تنه الناس أن يلتحقوا بالمساجد ؟ هكذا ، الإنسان يحب أن يوسع العدد الذي يشبهه ، أما الكتب السماوية السابقة فلم تُحفظ بأمر تكويني ، بل حُفِظت بأمر تكليفي ، لذلك لم تُحفظ .

الأمر التكليفي والأمر التكويني :

إن كل أمر تكليفي قد يُطاع ، وقد يُعصى ، أوضح لكم معنى الأمر التكويني والأمر التكليفي ؛ الأمر التكليفي كلوحة فيها : ممنوع المرور ، الطريق مفتوح ، وسالك ، لكن هذا الطريق ممنوع أن تأتيه من اتجاه آخر ، لو أن إنساناً خالف ، وبإمكانه أن يخالف ، لكن هناك مسؤولية ، هناك مخالفة ، هناك جزاء، لكن الأمر التكويني هناك مكعبات إسمنت مسلح على عرض الطريق لا تستطيع أن تخترق هذه المكعبات ، فأنت بين أمر تكليفي وأمر تكويني ، سيدنا موسى مع الخضر ، سيدنا موسى يعلم الأمر التكليفي ، أما سيدنا الخضر فيعلم الأمر التكويني ، لم خرق السفينة ؟ قال تعالى :

(وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)

(سورة الكهف الآية 79)

فخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار هذه أفعال الله ، أي أعطاه سر أفعاله ، فهو يعلم حكمة الأمر التكويني ، بينما سيدنا موسى عليه السلام يعلم الأمر التكليفي ، لذلك حينما خرق السفينة اعترض عليه هذا خلاف الأمر التكليفي ، وعندما قتل الغلام اعترض ، وعندما بنى الجدار بلا أجر اعترض أيضاً ، فلما عرف حكمة الأمر التكليفي استسلم ، فالأمر التكليفي قد يُعصى ، لكن الأمر التكويني لا يمكن أن يُعصى لأنه فعل الله ، ذاك أمره ، وهذا فعله ، فالكتب السابقة حُفظت بأمر تكليفي .
مثلاً عندما قال الله عز وجل :

(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)

(سورة آل عمران الآية 97)

هذا أمر تكليفي ، والدليل قد تنشأ فتنة في بيت الله الحرام ، وقد يموت أناس كثيرون ، أي أنّ الله عز وجل كلفنا أن نجعل هذا البيت آمناً ، ولما قال :

(وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)

(سورة النور الآية 26)

هذا أمر تكليفي ، فقد تجد امرأة طيبة مع إنسان شريير ، وقد تجد إنساناً طيباً مع امرأة ، فهل هذا نقض للأمر ، لا ، لأنّ الأمر تكليفي ، الأمر التكليفي قد يُعصى ، أما الأمر التكويني فلا يمكن أن يُعصى ، وأن يُبدّل ، لأنه فعل الله عز وجل ، فالقرآن الكريم محفوظ بأمر تكويني من قِبَلِ الله مباشرة .
أيها الإخوة ، أطلعني أخ على صفحة من موقع معلوماتي تُقلّد القرآن الكريم ، وتوهم الناس أنها من القرآن الكريم ، والله الذي لا إله إلا هو لو عرضنا هذه السورة المزورة من كتاب الله على طفل في الخامس الابتدائي لضحك ملء فيه سخرية منها ، وأيّ مسلم يشعر أنّ هذا الذي بين أيدينا هو كلام الله ، وما سواه كلام مُفْتَعَل ، لذلك قد تجري بعض المحاولات لتحريفه .

بالمناسبة حينما أقول : تولى الله بأمر تكويني حفظ هذا الكتاب ، ليس معنى هذا أنه لا تجري محاولة لتبديله ، ولكنها لا تنجح أبداً ، يمكن أن تجري محاولات ومحاولات ، ولكنها لا تنجح أبداً ، قال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ(98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا)

أي يريد استثناء ، يريد رخصة ، يريد تعطيل حكم ، يريد أن يأكل الربا .

إذا : معنى الآية عنده :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً)

(سورة آل عمران : الآية 130)

ليس هناك نهي عن ضعف واحد ، هذا التفسير يرتاح له ، فكلما قرأ آية يريد أن يصرفها عن قصدتها الحقيقي ، سمى العلماء هذا العمل ليّ عنق النصوص ، قال تعالى :

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران الآية 99)

تهديد ووعيد :

هذه كلمات تهديد ، قوله تعالى :

(وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران الآية 98)

هذا تهديد .

وقوله تعالى :

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(سورة آل عمران : الآية 99)

هذا تهديد .

الآن قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)

(سورة آل عمران الآية 99)

وَكَيْفَ تَخْفَرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ

1 - سبب نزول هذه الآية :

تروي بعض كتب التفسير أن لهذه الآية سبب النزول ، هي قصة جرت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بين الأوس والخزرج ، كلهم يعلم أنّ هاتين القبيلتين كان بينهما صراع عنيف قبل الإسلام ، وهذا شأن البشر جميعاً ، البشر حينما يتعدون عن منهج الله عز وجل تُلقى بينهم العداوة والبغضاء قال تعالى :

(فَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

(سورة المائدة الآية 14)

2 - اليهود غاظم اتفاق الأوس مع الخزرج بعد العداوة :

كان بين هاتين القبيلتين عداوة ، وخصومات ، وحروب ، وقتلى ، وشعر ، وهجاء ، وما إلى ذلك ، فلما جاء النبي عليه الصلاة والسلام انتلف الأوس مع الخزرج ، وأحبَّ بعضهم بعضاً ، من الذي اغتاض؟ بعض أهل الكتاب من اليهود ، غاظم هذه الألفة التي لم تكن من قبل بين الأوس والخزرج ، غاظم هذا الحب ، وهذا الوفاق .

مرة سيدنا الصديق جاءه طلب معين أراد أن يأخذ رأي عمر ، فأحال صاحب الطلب إلى عمر ، سيدنا عمر رفض أن يُفَقِّدَ هذا الطلب ، فامتلاً صاحب الطلب غيظاً ، فعاد إلى سيدنا الصديق ليثير حفيظته ، قال له : الخليفة أنت أم هو ؟ يبدو أنه هو ، قال له : هو إذا شاء ، لا مشكلة ، أي بين المؤمنين من الود ، والتعاون ، والتفاهم الشيء الكثير ، دائماً الطرف الآخر البعيد عن الله يريد أن يُوقِعَ بين المؤمنين ، ولا يُسَعِدَهُ أن يرى أخوين متفاهمين ، فيثير حفيظتهما .

مثلاً : يرى أخوين متفاهمين فيقول لأحدهما : هل تتفاسمون أرباحكم مناصفة ؟ فيقول له : نعم ، فيقول لك : والله أخوك يظلمك ، لأنه كما يبدو فهو لا يداوم ، كانوا مرتاحين ، ومتفاهمين ، ومتعاونين ، وهو يريد أن يُفَرِّقَ بينهما ، هذا فعل الشيطان ، يفرق بين المرء وزوجه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الجار وجاره ، وبين الشريك وشريكه .

2 - سعي اليهود للوقوف بين الأوس والخزرج :

فبعض أهل الكتاب من اليهود غاظم هذا الود ، والحب ، واللقاء بين الأوس والخزرج بعد مجيء النبي ، فأحدهم اسمه شاس ، دفع غلاماً ليقول قصيدة ألقيت في الجاهلية في هجاء أحد الطرفين ، فهذا الغلام وقف في مجمعهم ، وألقى هذه القصيدة ، طبعاً ذكَّرتهم بالعداوة السابقة ، والشعر الجاهلي هو شعر جاهلي حقيقة ، لأنَّ فيه فخراً ، وكذباً ، وهجاءً ، وافتراءً ، وكل قيم الشعر الجاهلي عدا بعض القيم من ذكر الشجاعة والكرم ، عدا هاتين القيمتين فهو شعر جاهلي ، فهذا الغلام ألقى هذه القصيدة على مسمع من الطرفين ، فبعض ضعاف الإيمان منهم ثارت حفيظتهم ، فذكروا القصيدة الأخرى المقابلة ، فتشامتوا ، وسحبوا سيوفهم ، وكادت تقع فتنة ، والنبي بين ظهرانيهم ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام ، ووقف بينهم ، وقرَّعهم ، وذكَّرهم بإيمانهم ، أي : أتفعلون هذا ، وأنا بين أظهركم بعد

أن نَجَاحُ الله من الجاهلية ومن العداوة والبغضاء ، ومن الحقد ، ومن هذه الأمور الجاهلية ، ثم تفعلون هذا ؟ مباشرة قَبْلَ بعضهم بعضاً ، وبكوا بكاءً شديداً ، وندموا على فعلتهم ، فأنزل الله عز وجل قوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آوَتْهُمُ الْكُتُبَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ)

3 - لا تسمح للطرف الآخر أن يوقع العداوة بين المسلمين :

لذلك أيها الإخوة أنت مؤمن ، وأي مؤمن آخر بأيّ مسجد آخر نحن جميعاً طرف واحد أمام الطرف الآخر ، فإذا كنت حريصاً على دينك فلا تسمح لإنسان من الطرف الآخر أن يتهم على مؤمن ، ولو لم يكن من أتباعك ، نحن جميعاً في قارب واحد ، نحن جميعاً طرف واحد .

أذكر أنّ أحد العلماء في مصر اجتهد اجتهاداً ، ولعله جانباً فيه الصواب ، فقام الطرف الثاني ، أي الذي يُنكر الأديان كلها فهاجمه هجوماً عنيفاً ، ولأول مرة يقف جميع العلماء صفاً واحداً أمام هذا الطرف المتجني ، أي أنك لست أنت المقصود كمسلم ، المقصود دينك .

أحياناً الطرف الآخر يهاجم فئة أو جماعة ، المقصود ليس هذه الفئة ، المقصود هو الإسلام ، لذلك ينبغي أن تكون أنت واعياً جداً ، لا تسمح للطرف الآخر أن ينال من المؤمنين ، ولو لم يكونوا من أتباعك ، ولو لم يلودوا بك ، الله عز وجل خاطب النبي بقوله :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الشعراء : الآية 215)

وقال :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الحجر : الآية 88)

وازن بين الآيتين ، أنت مكلف أن تخفض جناحك لكل مؤمن ، أما كون هذا المؤمن يأتي إلى جامعك فهذا موضوع آخر ، فإن الله عز وجل مُوزَع الدعوات على كل عباده شرائح شرائح ، فإذا كان الإنسان معجباً بوالدته فليس معنى هذا أن إنساناً آخر ليس له أم ، وله أم ، وهو معجب بها ، هذه الحقيقة الواقعة، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آوَتْهُمُ الْكُتُبَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ)

4 - احذروا الورقات الرابعة في أيدي الأعداء !!!

لو وسّعنا هذا الموضوع ، قصدُ أعداء الإسلام الأول إيقاع الفرقة بين المسلمين ، معهم أوراق رابعة كثيرة ، يمكن أن يُمزقوا العالم الإسلامي شر ممزق بسبب جهل المسلمين ، لو انتبه المسلمون ، وكانوا

على وعي وإخلاص لم يسمحوا لعدو للمسلمين أن يُفَرِّقَ بينهم ، لكن ماذا يفعل المستعمرون من مئة عام ؟ يعرفون بعض الحساسيات ، وبعض أنواع الخلاف ، هذه يخبئونها ورقة رابحة ، فكلما أرادوا أن يُفَرِّقُوا شمل المسلمين أظهروا إحدى هذه الورقات ، عندهم قوائم كثيرة يثيرون بها الخلاف بين المسلمين ، هذه الآية أساسية جداً في حياة المسلمين ، يجب أن نكون واعين .

إخواننا الكرام ، بادئ ذي بدء ، الذين آمنوا بالله ، واستقاموا على منهجه طرف واحد كلهم ، على اختلاف مللهم ، والذين كفروا بالله ، وأرادوا الدنيا طرف آخر ، أنا أتمنى على الطرف الأول ؛ أي المؤمنين ألا يسمح للطرف الآخر أن يدخل بينهم ، يجب أن تدافع عن كل مؤمن ، لأن الطرف الثاني لا يستهدف طرفاً بعينه ، يستهدف دينك كله ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آوَتْهُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ

ثم يقول الله عز وجل متعجباً بما يليق به :

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

(سورة آل عمران : الآية 101)

1 - يرقى الاختلاف بين المؤمنين إلى مستوى الكفر :

ماذا سمي الاختلاف بين المؤمنين ؟ سماه كفراً ، أي كيف تكفر أي تختلف مع أخيك ؟ هل يُعقل أن يرقى الاختلاف بين المؤمنين إلى مستوى الكفر ؟ هذا المعنى تؤكد آيات أخرى ، يقول الله عز وجل :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

(سورة الأنفال الآية 1)

ويقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ،

فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ))

[أبو داود ، أحمد ، الترمذي]

فساد ذات البين حالقة للدين .

ما التطبيق العملي لهذه الآية ؟ حاول أن تُصَفِّي كل علاقة بينك وبين أخيك المؤمن ، صَفِّها ، لا بمعنى أنها ، وإنما بمعنى اجعلها صافية ، حاول أن تصلح أية علاقة بينك وبين المؤمنين ، حاول ألا يبقى في قلبك غلٌّ ، ولا حسد ، ولا كبر ، ولا ضغينة على أي مؤمن ، اذهب إليه ، صارحه ، اكشف قلبك له ، إن كان الخطأ منك اعتذر منه ، إن كان في قلبه ضغينة فأهد له هدية ، فالهدية شيء عظيم ، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((تَهَادَوْا ، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي]

حاول أن تصلح علاقتك مع الناس ، وحاول أن تصلح العلاقة بين الناس ، أصلح علاقتك معهم ، وأصلح العلاقات فيما بينهم ، هذا هو التطبيق العملي ، يجب أن تعتقد أن الخلاف بين المؤمنين خطؤه كخطأ الكفر ، بل يُقِيم عند الله كفراً ، والآية صريحة ، قال تعالى :

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ)

كيف تكفرون ، أي كيف تختلفون ، أي خلاف يزول بالحوار ، حاور أخاك ، اسأله ، بيِّن له الدليل إن لم يقتنع فلا يوجد مشكلة ، أي لو بقي الخلاف بأمور دقيقة قليلة فلا يوجد مشكلة أبداً ، الخلاف في موضوع معين لا يُفسد وداً بين شخصين .

أنا لي وجهة نظر مقتنع بها ، وأنت لك وجهة نظر ، لكننا متفقون على أساسيات الدين ، والأساسيات لا خلاف فيها ، الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره ، وشره من الله تعالى ، هذه أساسيات .

أنا الذي أتمناه أحياناً أن يكون لكل درس تفسير تطبيق عملي ، اعمل مراجعة ، هل من إخواني في هذا المسجد شخص لي في قلبي شيء تجاهه ؟ أو هل أخ من إخوة المسجد في قلبه شيء تجاهي ؟ اذهب إليه ، واعتذر له ، وفاتحه في الموضوع ، وصارحه ، إن كان الخطأ منك اعتذر ، إن كان الخطأ منه سامحه ، لكن ما أجملها أن يكون المؤمنون ، فعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ سَائِرُ

الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى))

[البخاري ، مسلم ، أحمد]

ما أجمل أن يكون المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً ، ما أجمل أن لا نسمح للطرف الآخر أن يدخل بيننا ، وما أقبح أن يكون بأس المسلمين بينهم ، والله الذي يدمي له القلب أني ذهبت إلى

الشرق والغرب ، وإلى بلاد بعيدة ، الذي يُدْمِي القلب أن المسلمين في معظم بلاد العالم بأسهم بينهم ،
عداوة بين الجماعات الإسلامية ، أحقاد بين الجماعات الإسلامية ، كل جماعة تدّعي أن الله لها وحدها ،
وأن الحق معها وحدها ، وأن ما سواها انهيار ، هذا اعتقاد سخيف جداً أيها الإخوة ، ولعلها مصالح .

3 - الاختلاف قد يكون طبيعياً لنقص المعلومات :

ذكرت لكم من قبل أن الاختلاف قد يكون طبيعياً لنقص المعلومات ، وأن الاختلاف قد يكون محموداً ،
اختلاف تنافس ، فأنا أرى أن أفضل شيء الدعوة إلى الله ، يأتي إنسان آخر فيرى أن أفضل شيء
تأليف الكتب العلمية ، كلانا له عند الله ثواب ، إذا اختلفت اجتهادنا في أي الأعمال أعظم ، هذا خلاف
محمود ، وإذا كان هناك خلاف أساسه نقص المعلومات فهو معزول .

4 - الاختلاف المذموم سببه الحسد والبغي والمصالح :

أما الخلاف القدر فهو الخلاف بسبب الحقد ، والحسد ، والبغي ، والمصالح ، اختلاف المصالح
والحسد، قال تعالى :

(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)

(سورة آل عمران : الآية 19)

أيها الإخوة الكرام ، كونوا أنتم مثلاً علياً ، حاول أن تكون منفتحاً على كل المؤمنين ، وما دام انتمواؤك
ليس لمجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، لقوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

(سورة الحجرات : الآية 10)

5 - عند الاختلاف نحتكم إلى شرع الله :

يقول الله عز وجل : كيف تختلفون ، ومعكم منهج السماء ، وفيكم رسول الله ؟ كيف تختلفون ؟ أي
كيف تكفرون ؟ بمعنى أعمق اختلافنا يتناقض مع كتابنا الواحد ، ومع إلهنا الواحد ، ومع نبينا الواحد ،
إلهنا واحد ، ونبينا واحد ، وكتابنا واحد ، فاختلافنا يتناقض مع هذه الوحدانية ، قال تعالى :

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

مرة حدثني أخ أعجبنى موقفه ؛ اختلف مع زوجته في موضوع ، فقال : نحتكم لشرع الله ، اتصلوا
بعالم ، وسأله فبيّن الحكم الشرعي ، فانصاع الزوج والزوجة لهذا الحكم ، فأبي خلاف بين المؤمنين له

جواب في الدين ، فحينما اختلف مع أخي أحتكم إلى شرع الله عز وجل ، انتهى الخلاف مادام معنا كتاب ، ومعنا سنة ، قال تعالى :

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)

(سورة النساء : الآية 59)

أيّ منازعة ، في أي موضوع يرد إلى كتاب الله وسنة رسوله .

قال تعالى :

(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

(سورة آل عمران : الآية 101)

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

يعتصم بالله ، بكتابه ، ويعتصم بتبيان كتابه من قبل النبي الكريم فقد هُدي إلى صراط مستقيم ، أي من يعتصم بالمنهج لن يضل عقله ، ولن تشقى نفسه ، قال تعالى :

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

(سورة الإسراء : الآية 9)

الآية واضحة .

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى :

(فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه : الآية 123)

وقال :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة : الآية 38)

والحمد لله رب العالمين

لا استغرب من هذا ، فَعِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا :

1 - مسرحيات الدجالين والمشعوذين :

أيها الإخوة الكرام ، معي رسالة يبدو أنها مهمة ، يقول صاحب الرسالة : أنا شاب ملتزم بإذن الله بشريعته ، ولكنني أحترق أشد الاحتراق حينما أسمع أنّ بعض قريبات لي قد ذهبن إلى ذلك الإنسان الذي يدّعي بأنه شيخ يستطيع أن يفتح نصيب الفتيات ، أو جلب الرزق لفلان ، فطلبت امرأة منه ذلك ، وهي محترقة أشد الاحتراق أن يفتح نصيب ابنتها التي لم تتزوج بعد ، فكان جواب ذلك المحتال بأنه لا يستطيع إلا بدفع خمسة وعشرين ألف ليرة ، وزعم أنه يعطيها للجن ، وهذا ما يقوله بعض المشعوذين. أنا سمعت أخبارا كثيرة عن هذا ، وسمعت بمبلغ أكبر من هذا بكثير ، امرأة عندها عدة شباب متفقة معهم ، فإذا دفع إنسان مبلغًا ضخماً ترسل واحداً منهم ، لكنهم جميعاً لا يكملون هذا الزواج حتى النهاية، يرسلون شخصاً فيخطب ، ويضع شروطاً صعبة ، ثم ينسحب ، فترسل الآخر ، فعلى زعمها هذه المائة ألف أتوا لها بعشرة خاطبين ، معنى ذلك أن هذا الشيخ صادق - والعملية كلها مجرد دجل ، فطلب خمسة وعشرين ألفاً ، وزعم أنها ليست له ، وإنما للجن الفلاني ، وكانت حالة قريبتني المادية سيئة جداً ، فطلب منه أن يُخفّض السعر ، فقال له : ادفعي الآن أربعة آلاف كدفعة أولى ، دفعت هذا المبلغ ، ولم تستفد شيئاً ، فذهبت إليه ، وقالت له : إنها لم تستفد ، فقال لها : إنني أريد أربعة آلاف أخرى ، دفعت الأربعة الثانية ، ثم نشب خلاف كبير بين الأم والأب فقد دفعوا ثمانية آلاف حتى الآن ، فكان هذا العمل على نية فتح نصيب واحدة من البنات ، وبعد دفع هذه الثمانية نشب خلاف خطير بين الزوجين .

2 - بيد الله كل شيء :

والله أيها الإخوة كل هذا مجرد جهل ، ونقص في الإيمان ، بل كفر بالله ، فإن الله عز وجل بيده كل شيء ، لا تحتاج الفتاة إلا أن تستقيم على أمر الله ، وأن تدعو الله في الليل ، كل فتاة أودع الله فيها رغبة قوية أن تكون أمّاً ، والله موجود ومُطَّع ، والله علمنا أشياء كثيرة ، فعن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ ، أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ))

[مسلم ، البخاري ، الترمذي ، أبي داود ، ابن ماجة ، أحمد ، مالك ، الدارمي]

هذا الحديث يكفيننا ، أية فتاة تنتظر شاباً مؤمناً يرعاهها ، ويحميها لها أن تصلي صلاة الفجر ، أو قبل صلاة الفجر بربع ساعة ، وأن ترقع ركعتين تدعو فيهما في السجود بما تشاء، لا يوجد سوى هذا الحل، هذا هو الحل الأمثل ؛ أن تطلب هذا الشيء من الله ، وهذا هو التوحيد ، والله جبار الخواطر . والله حدثني أخ له أقرباء ، يبدو أن هناك فتاة في البيت مستواها دون العشرين بالمائة ، فالأب لبعده عن الحكمة كان يقول : ابنتي هذه ستخدمني عندما أكبر ، هذه الفتاة لن تتزوج ، والله أيها الإخوة جاءها زوج أفضل من أزواج إخوتها جميعاً ، الله جبار الخواطر ، هو من يزوج ، عندما يعلم الله عز وجل الصدق والإيمان من الفتاة ، لأن طلبها مشروع يلبيه لها ، أي فتاة طلبها مشروع .

لابد من السعي لتزويج الشباب :

أنا والله أتمنى من أعماقي أن يتم زواج آلاف الشباب ، لأن أفضل شفاعاة أن تشفع بين اثنين في نكاح ، هناك بعض الآثار وردت : من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها ، وبكل خطوة خطاها ، عبادة سنة قام ليلها وصام نهارها .

عندما يتعاون المؤمنون لتزويج الشباب والشابات هذا الآن من أعظم الأعمال ، لأن طرق الفساد ، وأبوابه مفتوحة على مصارعها ، وبإمكان أي شاب ، وأية شابة أن ينحرف وتنحرف دون أن يحاسبهم أحد، لذلك إما أن نشجع النكاح ، وإما أن نعّم السفاح ، فهذه كلها أشياء فيها دجل ، أناس كثيرون ، شيوخ دجالون وكذّابون يتعاونون مع الشيطان يوهمون الناس ، قال تعالى :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(سورة إبراهيم : الآية 22)

لابد من العلم والوعي :

أنا أتمنى أن يكون هناك وعي عند المؤمنين ، والله إن الدجاجلات والدجالين كثر ، ولكن من زبائنهم ؟ الجهلة فقط ، الجن يريد خروفاً رأسه أسود ، الجن يريد ديكاً لونه كذا ، الجن يريد خمسة وعشرين ألف ليرة ، أعطني الآن أربعة آلاف ، ثم أربعة آلاف أخرى ، وبعد ذلك يُقال : نشأ خلاف قد ينتهي بالطلاق

بين الزوجين ، كل ذلك كذب ، كذب صريح ، والله بعض من يفعل هذا - والله ، وأنا أعني ما أقول ، وأعلم هذه الأشياء بدقة - يزني ببعض النساء اللواتي يأتين إليه بأساليب مخيفة ، ولا يصلي إطلاقاً ، وهو عند الناس شيخ ، يزوج ، ويحل المشاكل ، ويخرج الجن ، هو في الأصل أصابه جني ، فانتبهوا أيها الإخوة ، نحن رواد حق ، وطلاب حق ، ولا يوجد إلا الله فقط ، وليس بينك وبين الله حجاب ، ولا واسطة .

إخواننا الكرام ، الدعاء له شروط ، قال تعالى :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة : الآية 1)

والحمد لله رب العالمين